الله وصفاته في سِفْر التكوين من التوراة

دراسة، تحليل، نقد

The concept of Allah and His attributes in the book of Genesis, A Critical Overview

د/ خادم حسين إلهي بخش*

ABSTRACT:

The book of Genesis has comprehensive details about Prophets like Noah, Abraham, Jecob and Joseph. A greater portion of Genesis deals with Jacob and his sons like Joseph(A.S). It narrates and explicates how Almighty Allah-the supreme creator – is different from his creations including the Mighty Prophets. Hereby a selection of appropriate textual references are streamlined from Genesis in an effort to Show that Almighty Allah transcends all-being a Mighty Creator- and how it negate the concept of trinity in itself.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم ونهج منهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

* أستاذ قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الطائف. السعودية.

فإن الله لم يتكفل بحفظ كتاب من كتبه المنزلة على مبعوثيه سوى القرآن الكريم، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] بما في ذلك التوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى.

وسفر التكوين أحد أسفار التوراة الخمسة – سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية – لقد تعرضت هذه الكتب للتحريف والتغيير، ومسَتها يد العبث والتحريف فأضافت إليها وحذفت منها عبر التاريخ.

أضف إلى ذلك أن اليهود والنصارى المعاصرين يقطعون بأن النص الموجود هو كلام الله بالمعنى، لا كلامه باللفظ والمعنى، كما هو حال القرآن الكريم، فإنه كلام الله لفظاً ومعنى بإجماع المسلمين، ولم يشذ عن ذلك إلا أفراد متناثرون في كتب التاريخ، وقبل الخوض في الموضوع يجب التعرف على سبب اختيار الموضوع، و الدراسات السابقة فيه، فهل من باحث سبقني إليه أ وإلى جزئية من جزئياته.

سبب اختيار الموضوع:

1. تعودت أن أقرأ جزءاً من القرآن الكريم يومياً في البيت بعد أداء فريضة الصبح في المسجد، وفي أحد الأشهر الماضية لفت نظري ذكر القرآن الكريم لليهود بكثرة، وتحذير المسلمين من اتباع سبيلهم.

فبدأت البحث عن علة التحذير، فهداني الله إلى كتابة هذا البحث، فالتوحيد قمة الأديان الإلهية كلها، والشرك ينهى عنه جميع المبعوثين من عند الله، فاتجهت إلى قراءة أول سفر في التوراة، فجاءت الثمرة بهذه الصورة.

2. أضف إلى ذلك أن اليهود يَدَّعُون التوحيد، وإنهم الموحدون الوحيدون في العالم، فأحببت التعرف على حقيقة توحيدهم، وهل توحيد التوراة مثل توحيد القرآن؟.

3. أصبح العالم اليوم كقرية واحدة، ولاسيما بعد تعدد طرق الاتصالات، وأخص بالذكر إنترنت، فقد يحتك المسلم باليهودي وتجري بينهما مناقشة أو مناقشات، وأعظم قضايا النقاش توحيد الله، أرجو أن تكون دراستي هذه تسد ثغرة من ثغرات النقاش.

الدراسات السابقة في الموضوع.

لم أجد ممن كتب في الديانة اليهودية من ألزم نفسه بدراسة سفر التكوين وحده، ثم حصر دراسته فيما يختص بالله وصفاته في هذا السفر، ولاسيما دراسة تنبع من كتاب الله وسنة سيد المرسلين محمدٍ صلى الله عليه وسلم.[2]

وكل الذي وجدته:

1. ثلاثة أمثلة ذكرها زميلي الشيخ الدكتور سفر الحوالي في (أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية) دون أن يذكر مصادرها بأنها من سفر التكوين، وقدمها بمقدمة فقال: (وقد اتفقت الكتب المنزلة والعقول السليمة والفطر القويمة على أن الله لا يماثله شيء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولكن اليهود مَلَؤُوا توراتهم المحرفة بنماذج كثيرة من هذا الكفر، نذكر موجزاً لبعضها....)[3]

2. خصص الدكتور سعود الخلف في مؤلفه الشهير (دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية) المطلب الرابع من الفصل الثاني من الباب الأول لهذا الغرض، وعنون له ب (صفات الله عز وجل في التوراة المحرفة) وذكر فيه أربعة صفات: وَصْف الله بالبكاء وذرف الدموع، ووصف الله بالندم، ووصف الله بالجهل، ووصف الله بالتعب.

والصفتان الأخيرتان استقاهما من سفر التكوين، وأما الأولى فمن سفر إرميا والثانية من سفر الخروج.[4]

لذا أستطيع أن أجزم بأن دراستي هذه غير مسبوقة – حسب علمي والله أعلم – بأحد، فلم يكتب عنها فرد بالحصر الذي سأتحدث عنه، وبالإطار الذي سأخوض فيه، أسأل الله العون والثبات.

ولم يكن العمل في بحثي هذا سهلاً، فقد واجهتني معوقات منها:

معوقات العمل في البحث: أول ما يواجه الباحث في العهد القديم عموماً وفي أسفار التوراة الخمسة خصوصاً أن معتنقيها يجزمون بأن موسى عليه السلام كتبها بيده، أو أملاها على كاتب حاضر لديه فكتبها، ومن الباحثين من يرى أنها كتبت في عهد موسى، وأن موسى أبدى رضاه عنها.

وكلا الأمرين يعارضهما واقع أسفار التوراة الخمسة من وجوه:

1. تذكر الأسفار الخمسة أحداثاً وقعت بعد موت موسى عليه السلام، ولا يمكن قبول ذلك إلا في حالة كتابة ذلك السفر بعد ذلك الحدث، وبعض هذه الأحداث وقعت بعد موته بسبع مائة سنة.

2. أصيبت التوراة بتلف كامل مرات عديدة من قبل غزاة يعادون بني إسرائيل، وفقِدَت فترات طويلة تصل أحيانا إلى ثلاثة قرون فأكثر، ثم يدعي أفراد أنهم وجدوها أو أُلهموا كتابتها.

3. ترجمت التوراة إلى لغات مختلفة قبل فقدانها – لأسباب متعددة منها انصهار بني إسرائيل في أممٍ مختلفة تحت الضغط مما جعلهم ينسون اللغة العبرية فتُرجمت لهم التوراة – ثم فقد الأصل مرات عديدة، ثم تُرجمت التوراة العبرية المعاصرة من هذه التراجم.

فما مدى الثقة التي تحملها هذه الترجمة، مع جهالة المترجم، وهل كان يتقن اللغتين المترجم منها والمترجم إليها، وما مدى تأثير المفردات التي تغيرت معانيها من عهد موسى عليه السلام إلى عهد المترجمين.

ستجد تفصيل كل ذلك في بداية المبحث الأول (تاريخ سفر التكوين)

مع وجود كل هذه العوائق استعنت بالله ودرست سفر التكوين المترجم إلى العربية باعتبار أن معناه من الله تعالى، وبه تُفْتَتَح التوراة العبرية المعتمدة لدى أغلب فرق اليهود.

خطة البحث: عنونتُ دراستي هذه بعنوان (الله وصفاته في سفر التكوين من التوراة) وقسمتها إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: ذكرت فيها أن الله لم يتكفل بحفظ كتاب من كتبه المنزلة سوى القرآن، لذا تعرضت بقية الكتب الإلهية للتحريف والتبديل، ثم عرجت على الدراسات السابقة التي تعرضت لمثل هذا البحث تفصيلاً أو إجمالاً، ثم ذكرت أسباب اختيار هذا الموضوع، وأعقب ذلك ذكر المعوقات التي اعترضت طريقي خلال الدراسة، وتضمن:

المبحث الأول: (تاريخ سفر التكوين): وذكرت فيه ارتباط هذا السفر بموسى عليه السلام ؟، ومحتوياته، ومميزاته، وهل هو وحي إلهي أو جهد بشري.....، وناقشت كل ذلك مناقشة منهجية في ضوء مصدري الإسلام والعقل السليم، وعنونت:

المبحث الثاني: (خلق الإنسان في سفر التكوين): وذكرت فيه خلق الإنسان على صورة الله، وخلق الإنسان في القرآن الكريم، وناقشت كل ذلك مناقشة علمية منهجية في ضوء نصوص الكتاب والسنة، واشتمل:

المبحث الثالث: على (صفات الله الإنسانية في سفر التكوين) فكان من صفات الله الكذب، والخوف، والحزن، والأكل، والوقوف على سُلم... وذكرت في ذلك عشرين صفة تفصيلية، وأربعة عشر صفة إجمالية اشتمل عليه هذا السفر، وحاولت مناقشتها في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال سلفنا الصالح رحمهم الله.

وعقبت ذلك بذكر خمسة قواعد تضم أساسيات قواعد أسماء الله وصفاته عز وجل.

وقبل الختام أقدم اعتذاري عن الإحالات التي وضعتها في آخر البحث، فإني مكره على ذلك، لأن المجلات العلمية المحكمة في باكستان تطالب الإحالات بهذه الصورة، علماً أني لا أحب ذلك، وأحبذ وضع الإحالات في آخر الصفحة التي فيها الإحالة، ليسهل مراجعتها.

الخاتمة: و جاءت متضمنة لخلاصة البحث وأهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذه البضاعة المزجاة، أرجو من الله العليم الخبير أن تكون وافية بالمطلوب، فما كان صوابا فمن الله، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وعزائي أني فتحت بابا للباحثين لغربلة الفكر اليهودي، في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلفنا الصالح، رحمهم الله وسدد خطاهم فيما فيه مرضاته. وعلى الله قصد السبيل، وبه أستعين.

المبحث الأول: تاريخ سِفْر التكوين:

ارتباط سفر التكوين بموسى عليه السلام: يجزم اليهود أن أسفار التوراة الخمسة كتبها موسى عليه السلام بيده، أو أملاها على كاتب حضر لديه فكتبها، ومن الباحثين من يرى أنها كتبت في عهده وأبدى رضاه بها عليه السلام.

إلا أن واقع أسفار التوراة الخمسة يعارض ذلك من وجوه:

أولاً: الأسفار الخمسة تشتمل على حوادث وقعت بعد موسى عليه السلام، فمثلاً تجد في سفر التكوين (ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عِدْر)[5]، ومجدل عدر اسم لإحدى منارات

بيت المقدس بناها نبي الله سليمان عليه السلام، الذي جاء بعد موسى بسبع مائة سنة تقريباً، وقس على هذا الحادث بقية الحوادث المذكورة في الأسفار الخمسة التي سيأتي الحديث عنها في ثنايا البحث.

ثانياً: تلاف التوراة وضياعها في أحداث التاريخ المختلفة.

1. فأول إتلافها وقع في عهد الملك رَحْبُعَام بن سليمان سنة 945 قبل الميلاد، حين غزا ملك مصر مملكته، وأتلف كل شيء فيها، ونهب جميع ما كان في بيت المقدس، ومنها نسخة التوراة الوحيدة التي كانت تُقرأ على الناس لتعليم أحكامها ، ففي سفر الملوك الأول (وفي السنة الخامسة للملِك رَحْبُعَام صعد شِيشَق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء)[6]

2/ ظلت التوراة مفقودة حتى بداية القرن السابع قبل الميلاد، فادعى الكاهن حِلْقِيا أنه وجد سفر الشريعة في الهيكل، ويذكر سفر الملوك الثاني حادثة العثور هذه فيقول: (فقال حِلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه...) [7]

3. في القرن السادس عام 597 قبل الميلاد أغار بختنصر ملك بابل على أورشليم، وهدم بيت المقدس وأزال جميع آثاره بما في ذلك التوراة، ويروي سفر الأيام الثاني ذلك بقوله: (ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء، ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده...، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم...، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا)[8]

4. تم إتلاف التوراة مرة أخرى عام 170 قبل الميلاد، حين أغار ملك أنطاكيا على أورشليم، وهدم الهيكل وأحرق جميع ما كان فيه من الآثار، وأعقبه إتلاف آخر بمائة سنة حين أغار إمبراطور الروم طيطس على أورشليم، وقتل من اليهود ما وصلت إليه يده، وأحرق بيت المقدس بما فيه.

كما أن القرن الرابع الميلادي شهد غارات الوثنيين القادمين من شمال روما، وتسببت في إزالة جميع الآثار اليهودية والمسيحية، ففي عام 613 م أغار شاه إيران برويز على أورشليم وأزال جميع الأماكن المقدسة اليهودية والنصرانية، وأحرق الكتب والصحف جميعا.[9]

5. وأقدم نسخة مخطوطة موجودة من العهد القديم باللغة العبرية هي التي وجدها الرعاة في وادي قمران، ما بين عامي 1947– 1956م، بالقرب من البحر الميت جنوب مدينة أريحا، داخل جرار الخزف، وكتبت هذه النسخة قبل الميلاد بثلاثة قرون، واستولت عليها أميركا وبريطانيا ويهود فلسطين، ولم يعلن عن محتوياتها حتى اليوم.[10]

ويحدد الدكتور ضياء الرحمن تاريخ النسخة العبرية المتوفرة بين أيدي الناس اليوم فيقول: (وأما النسخة العبرية التي بين أيدينا فهي مأخوذة من النسخة الماسوريَّة[11]. التي أعدها جماعة من علماء اليهود في طبرية، من القرن السادس إلى الثاني عشر الميلادي)[12]

وإلى كل ما سبق من التحريف والضياع والتنقيح والتلفيق جاءت الإشارة القرآنية (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ).[13]

ثالثاً: وجود التراجم مع فقدان الأَصل.

فإذا كان الأصل العبري المتوفر بين أيدينا بهذا الوضع فاقد الارتباط بموسى عليه السلام، والعهد القديم تُرجم كله أو بعضه إلى لغات مختلفة عبر التاريخ، ومن هذه الترجمات أعيد فترجم إلى العبرية مرة أخرى فما مدى صدق النسبة فيه، لذا نجد العهد القديم بما فيه الأسفار الخمسة كتب على صدرها (الكتاب المقدس أي كُتب العهد القديم والعهد الجديد وقد تُرجم من اللغات الأصلية).[14]

ولا يستطيع تقييم الجملة الأخيرة (وقد تُرجم...) إلا المَعْنِيُون بالترجمة لاعتراء الصعوبات التالية:

1. ما مدى الثقة التي تحملها الترجمة عند فقدان الأصل.
2. ما مدى الثقة التي تحملها الترجمة عند جهالة المترجم، وهل كان يتقن اللغتين المترجم منها والمترجم إليها.

3. ظلت التوراة تُنسخ عبر العصور، فما مدى دقة الناسخ ونقل الكلمة كما وجدها في النسخة التي نقل منها.

4. ما مدى تأثير اللغة وتغير مفرداتها عبر القرون على هذا السفر، مع عدم وجود معاجم تضبط المفردة القديمة وتقدم المفردة الجديدة التي يمكن أن تحل محلها.

5. وما الضمان الذي يستطيع معتنقو التوراة تقديمه بأن معاني المفردات لم تتغير عبر التاريخ.

6. ينص القرآن الكريم أن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام، ومن محتوياتها الألواح التي نزلت مكتوبة من عند الله قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِين .[15] وقال عز من قائل (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ).[16]

وقد ذكرت إذاعة بي بي سي البريطانية في شهر رجب سنة 1420 هـ في نشرتها العربية وسَمِعْتُها بأذني أن دولة إسرائيل سترفع القيود المفروضة على رؤية هذه الألواح، وإن قراءة نصوصها سيقود المجتمع الإسرائيلي إلى بلبلة فكرية ، إذ فيها التوحيد بينما المجتمع اليهودي يبيح الشرك ويتعامل به.

وقد سمحت إسرائيل فعلاً لزوار المتحف برؤية هذه الألواح لمدة خمسة أيامُ ثم حجبتها مرة أخرى، رغم وَعْدِها بسماح رؤيتها لمدة ستة أشهر طلباً لجمع العملة الصعبة من السياح الزائرين.

رغم هذه العوائق استعنت بالله وشمرت عن ساعد الجد لدراسة سفر التكوين المترجم إلى العربية باعتبار أن معناه من الله تعالى.

محتويات سِفْر التكوين:

1. يحتوي سفر التكوين على أخبار خلق السماوات والأرض وخلق ما بينهما من مخلوقات، وتقسيم الزمن إلى ليلٍ ونهار وأيامٍ وسنين، وخلق الطيور والوحوش والبهائم.

2. كما يحتوي على خبر خلق الله للإنسان على صورته وشَبَهه ذكراً وأنثى ليتسلط على سمك البحر وطير السماء، ويستمر هذا السفر في ذكر الأحداث التي مرت بآدم وأبنائه ثم نوح وأبنائه وإخوانه ثم إبراهيم وزوجاته وأبنائه وإخوانه.

أضف إليه استمراره في تسلسل ذكر الأحداث بالتفصيل والجزئيات، من عهد إبراهيم عليه السلام وخروجه من العراق وتوجهه إلى فلسطين ثم إلى مصر، وينتهي باستحلاف يوسف بني إسرائيل، لينقلوا جثمانه بعد موته من مصر إلى فلسطين (واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً: الله يفتقدكم فتُصعِدون عظامي من هنا، ثم مات يوسف وهو ابن مئةٍ وعشر سنين ووضع في تابوت في مصر)[17]

مميزات سِفْر التكوين: أهم ما يميز هذا السفر:

1. التبريك من الله أو من الأب لأبنائه بكثرة النسل والأولاد.
2. التبريك من الله أو من الأب لأبنائه بكثرة الأموال والمواشي والذهب.
3. التبريك من الله أو من الأب بتملك أرض فلسطين.
4. سفر التكوين يظهر اليهود كبدوٍ رُحل في أرض فلسطين، لا يملكون من أرضها شيئاً إلا الوعود.
5. لا يتم الزواج في هذا السفر إلا بوصف البنت بالجمال في المنظر.
6. يرعى الله في هذا السفر مصالح بني إسرائيل، ويحافظ على ممتلكاتهم دون سائر البشر.
7. كثرة اعتداءات بني إسرائيل بعضهم على بعض حيناً، وعلى غيرهم أحياناً أخرى.
8. وجود تعبيرات وَقِحة تَخْدِش كرامة الإنسان قارئاً وسامعاً.

كل هذه المميزات تطرح على الباحث السؤال الرئيس هل سفر التكوين وحيٌ من الله، أو سعيٌ بشري كُلِّف صاحبه بكتابة تاريخ بني إسرائيل، منذ وجود أول إنسان على وجه الأرض إلى وفاة يوسف عليه السلام.

كما تطرح هذه المميزات تساؤلاً آخر لا يقل أهمية عن سابقه، هل كاتب هذا السفر فرد واحد أو أكثر من فرد عند اعتبار بشريته، وهل كُتِب في فترة زمنية متقاربة، أو ظل يتكامل

ويتناوب على تكميله أفراد عاشوا حقبة الأحداث أو تركوا أدلة على أحداث تلك الفترة، فكتبها فرد في فترة لاحقة أعقبت تلك الأحداث.

وخير من يجيب على هذه التساؤلات هو محتويات سفر التكوين، وبذلك ينكشف المُخبر ويسهل الحكم على هذا السفر، هل هو وحي من الله أو جهد بشري لحفظ تاريخ بني إسرائيل، بغض النظر عن صحة المعلومات من عدمها.

سِفْر التكوين وحيٌ إلهي أو جهد بشري ؟: المتتبع لأحداث سفر التكوين لا يصعب عليه القول بأنه كتب على فترات متلاحقة، وجامعوه أفرادٌ متعددون عاصروا الأحداث أو سمعوها، فسجلوها بطريقة ما كذكريات وشهود عيان، فظل هذا السفر يتكامل ويمزج بين أحشائه خليطاً بما نزل به الوحي على بعض رسل بني إسرائيل، والانطباعات البشرية لجامعيها التي تُعَد بمثابة تحليلٍ لأحداث تلك الحِقَب الغابرة.

ولكثرة هذه الانطباعات والتحليلات سأقتصر على أبرزها:

1. يبدأ سفر التكوين بجملة (في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغَمْر ظلمة)[18] أمعن النظر في الجمل الثلاث تجد كاتبها يخبر عن أول المخلوقات وعن حالة الأرض عند خلقها، فهو مؤرخ يؤرِخ لبداية المخلوقات، وربما كان مفهوم الخبر وحياً تناقلته الألسنة عبر التاريخ، حتى جاء وقت تدوينها فَدَوَّنَها هذا الكاتب المجهول.[19]

2. يزداد القارئ ثقة ببشرية هذا السفر إذ يجد الكاتب يؤرخ لتسمية الأرض والبحار، وأن الله دعاها بهذه الأسماء فهو يخبر بما وقع (وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكانٍ واحد، وَلْتَظْهَر اليابسة، وكان كذلك، ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع الماء بحارا).[20]

3. ينهي الكاتب أخباره عن خلق السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات بجملة (هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات).[21]

4. يحصر الإصحاح الخامس من هذا السفر ذكر من أنجبهم آدم، فيذكر اسمه وعمره ومن ولد له والعمر الذي عاشه بعد هذا المولود والعمر الكلي الذي قضاه على وجه الأرض، ومثل هذا العمل لا يتأتى إلا من بشر مثلي ومثلك ومثل كاتب سفر التكوين.[22]

5. حين تبدأ قراءة الإصحاح السادس لا تشك أن كاتبه إنسان لأنه يتحدث كما يتحدث المؤرخ عن الأحداث (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، ووُلِد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حَسَنَات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).[23]

6. يخبر عن طوفان نوح عليه السلام فيقول: (وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض، في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر، في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغَمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وليلة، في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويَافِث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك).[24]

7. لا تستغرب إن استعمل كاتب سفر التكوين الأمثلة الشائعة في زمنه، وعللها بالتعليل البشري لأنه من البشر، فها هو يذكر ويعلل مثلا من هذه الأمثلة فيقول: (وكُوْش وَلَد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض الذي كان جبار صيد أمام الرب، ولذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب، وكان ابتداء مملكته بابل وأَرَك وأَكَّد وكَلْنَة في أرض شِنْعَار).[25]

8. يحدد لك هذا السفر منطقة سكنى قبائل الكنعاني كتحديد الإنسان للإنسان تماماً لأنه إنسان (وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني، وكانت تخوم الكنعاني من صِيدُون حينما تجيء نح وجَرَار إلى غَزَّة، وحينما تجيء نحو سَدُوم وعَمُورَة وأَدْمَة وصَبُوِيْم إلى لَاشَع).[26]

9. يؤرخ هذا السفر للأشوريين وما بنوه من المدن مع التحديد بالدقة البشرية وتعيين أكبرها، فيقول: (من تلك الأرض خرج أَشُور وبَنَى نِيْنَوى ورَحُوبُوت عَيْر وَكَالِح، ورَسَن بين نينوى وكالح هي المدينة الكبيرة).[27]

10. يخبر عن نزاع ميراثي على أرض وتم إنهاؤه في عهد فلان فيقول: (ولِعابر وُلد ابنان اسم الواحد فَالَج، لأن في أيامه قسمت الأرض واسم أخيه يَقْطَان.[28]

11. يخبر الكاتب عن قريتي قوم لوط وكيف كان المرعى فيهما قبل تدمير الله لهما، وتَشَوُّفِ لوط عليه السلام إلى منطقة الأردن كلها لاتخاذها مرعى لبهائمه فيقول: (فرفع لوط عينه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبلما أخرب الرب سَدُوم وعَمُوْرَة، كجنة الرب كأرض مصر حينما تجيء إلى صُوْغَر)[29]

12. يخبر بموت إبراهيم على لسان الله ويحدد مدفنه قائلاً: (وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام بشيبة صالحة)[30]

13. حين تقرأ محادثة إبراهيم مع ربه عند إهلاك سدوم وعمورة قريتي قوم لوط ينتفي عنك الشك تماماً، وستجزم بأن كاتبه مؤرخ بشري لأنه نسب إلى الله ما لا يليق بجلاله عز وجل، فالله في نظره لا يتعدى أن يكون أخاً أكبر أو أخاً أصغر للإنسان الذي خلقه (وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً، وأنْزِلُ وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليَّ وإلا فأعلم، وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم).[31]

فالله في النص السابق غير عالمٍ بما يجري في ملكه، وأن ما ترفعه الملائكة من أعمال بني آدم مشكوك في نظره، فيضطر إلى النزول لكشف الحقيقة على أرض الواقع، لذا نزل إلى سدوم وعمورة، وجملة (وإلا فأعلم) ناقصة التركيب وتكملتها وإلا فأعلم أن الحقيقة غير ذلك.

20. يسرد هذا السفر قصة ذبح إبراهيم لولده عليهما السلام، ويحكي ما هو منقول عند الناس عن المحرقة، ويخبر عن ذلك كناقلٍ للخبر فيقول: (وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال: له يا إبراهيم فقال: هأَنذا، فقال: ابنك وحيدك الذي تحبه، واذهب به إلى أرض المُرِيَا واصعده، هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك.

فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره...، فقال له: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً...، فرفع إبراهيم عينيه ونظر فإذا كبش وراءه مُمْسَكاً في الغابة بقرنيه، وأخذ الكبش وأصعده عوضاً عن ابنه، فدعى إبراهيم ذلك الموضع يَهْوَهْ يِرْأَهْ، حتى إنه يُقال اليوم في جبل الرب يُرى).[32] فهل يمكن عد الجملة الأخيرة (حتى إنه يُقال...) وحياً، بل إنها حكاية للمنقول على الألسنة.

15. يخبر هذا السفر عن أولاد نَاحُوْر أخي إبراهيم، فيحدد أسماءهم ويحدد أسماء أحفاده وحفيداته، كأي متخصص بشري في علم الأنساب فيقول: (وسكن إبراهيم في بئر سَبْع، وحدث بعد هذه الأمور أن إبراهيم أُخبر وقيل له هو ذا مِلْكَة قد ولدت هي أيضاً بنين لِنَاحُوْر أخيك، عُوْصَا بِكْرُه وبُوْزَا أخاه وقَمْوَئِيْل أبا آرَام...).[33] فمن المخبر، فهل يعقل أن يكون هذا الخبر من الله ؟.

16. حين تنظر في قصة موت سارة زوج إبراهيم، وتحديد سني حياتها مع تحديد قرية الوفاة باسمها القديم والجديد، وفي أي المملكة تقع هذه القرية عند كتابة هذا السفر، وتذلل إبراهيم لأصحاب الأرض ليعطوه مكان قبر لدفن ميته، كل ذلك لا يدع عندك مجالاً للشك بأن كاتبه مؤرخ بشري سمع الحدث منقولاً على الألسنة فسجله (وكانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة سني حياة سارة، وماتت سارة في قرية أربع التي هي حَبْرُوْن في أرض كنعان، فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها، وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حِثَّ قائلاً أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن مَيِّتِي من أمامي).[34]

17. عند النظر في قصة زواج إسحاق عليه السلام يرتفع عنك الشك بأن يكون هذا السفر وحياً، بل هو تسجيل بشري لأحداث وقعت، ككتب التاريخ التي أرخت لكل يوم أحداثها، فالعبد المكلف بتزويج إسحاق يحاور مولاه إبراهيم عليه السلام بأن الفتاة ربما تمتنع عن المجيء إلى أرض الغربة، فهل تسمح لابنك أن يهاجر إليها ليسكن معها، ثم يذهب العبد إلى مدينة نَاحُوْرَة ويُنِيخ جماله عند بئر السقي ويتفرس في القادمات لملء الجرار، ويُلْبِسُ البنت المختارة خِزَامَة أنف زِنَتُها نصف شَاقِل وسوارين على يديها زنتهما عشرة شَوَاقِل، ثم يدخل بيت البنت ويلتقي بأسرتها فإذا هي بنت أخي إبراهيم. فالإصحاح برُمته تفصيل كامل لهذا الزواج، فهل يعقل أن يكون وحياً، ووزن الخزامة والسوارين بشاقل ربما يشيران إلى الزمن الذي كتب فيه هذا الحدث.[35]

ويختم القاص القصة في الإصحاح بقوله: (فأدخلها إسحاق إلى خباء سارة أمه، وأخذ رِفْقَة فصارت له زوجة وأحبها، فتعزى إسحاق بعد موت أمه) بها، لأنها آنست وحشته، فكل ذلك شعور بشري تجاه بشر يماثلهم، فهل يمكن عده وحيا؟.

18. يسرد هذا السفر أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويحدد سني حياة الابن بمائة وسبع وثلاثين سنة، ويُعَيِّنُ مكان إقامتهم كما يعين البشر فيقول: (وسكنوا من حَوِيْلَة إلى شُوْرَ التي أمام مصر حينما تجيء نحو أَشُوْر)[36]

19. عند قراءتك للنزاعات التي حدثت بين رعاة إسحاق ورعاة خصومه، لن تجد غضاضة في تسمية هذا السفر بأنه شبيهٌ بقصص الجُدود والجدات التي يروونها للأحفاد والحفيدات في الليل لتمضية الوقت، وتذكيرهم بما فعله الأجداد أو بما فعِل بهم، فهذا عِيْسُو بن إسحاق يتزوج زوجتين

فيصف القاص العلاقة المتوترة بين الزوجتين من جهة وبين أبي الزوج وأمه من جهة أخرى فيقول: (ولما كان عِيْسُو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة، يَهُوْدِيَت ابنة بِيْرِي الحِثي وبَسْمَة ابنة إِيْلُوْن الحثي، فكانتا مرارة نفس إسحاق ورفقة).[37]

فهل يمكن عد مثل هذا الخبر عن هذه العلاقة وحياً، بل إنه شعور داخلي للمخبِر لا غير.

20. حين تقرأ مؤامرة عيسو على شقيقه يعقوب عليه السلام بقتله، وتَدَخُّل الأم بحيلة النجاة لن يسعك إلا أن تقول إن كاتبه إنسان من البشر، وأن أخباره أخبار العصر الذي عاش فيه (فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه، وقال: عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبي فأقتل يعقوب أخي، فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر...، فالآن يا بني اسمع لقولي وقم اهرب إلي أخي لَابَان، إلى حَارَان وأقم عنده أياماً حتى يرتد سخط أخيك). ([38])

21. حديث هذا السفر عن زواج يعقوب بابنة لَابَان وما فيه من غش وتدليس، فقد زَوَّجَه بأخت المخطوبة خداعاً ثُم زوجه المخطوبة فظلت الأولى مكروهة عند زوجها حتى فتح الله رحمها فأنجبت له أربع بنين ([39]) فاغتاظت ضرتها وشقيقتها – الزوج الأصيل – وخاطبت زوجها يعقوب قائلة: (فلما رأت رَاحِيْل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها، وقالت ليعقوب هب لي بنين وإلا فأنا أموت، فحمي غضب يعقوب على راحيل وقال: أَلَعَلِيَّ مكان الله[40] الذي منع عنك ثمرة البطن، وقالت هو ذا جاريتي بِلْهَة، أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضاً منها بنين)[41].

فمن الصعوبة بمكان أن تحكم على هذه القصة ومثيلاتها في سفر التكوين على أنها وحي الله، بل إنها حكاية عن المكر والخداع ونهب الخدمات وغيرة الضرة تجاه ضرتها وإشباع فطرة الأمومة ولو بطريق غيرها... كل ذلك جزء من التاريخ البشري اليهودي لا يمكن عده وحياً.

22. يمضي السفر في المنافسة بين الزوجتين على تملك يعقوب ليلاً ولو بتعويض (ومضى رَاوْبِيْن في أيام حصاد الحنطة فوجد لُفَّاحَاً[42] في الحقل وجاء به إلى لَيْئَة أمه، فقالت راحيل لليئة أعطيني من لفاح ابنك فقالت لها أقليل أنك أخذت رَجُلي فتأخذين لفاح ابني أيضاً، فقالت راحيل إذاً يضطجع معك الليلة عوضاً عن لفاح ابنك)، فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء خرجت ليئة لملاقاته وقالت: إليَّ تجيء لأني قد استأجرتك بلفاح ابني).[43]

23. يبدو أن مؤرخ سفر التكوين رغم يهوديته الظاهرة في السفر تعتريه البلاهة أحياناً عند الكتابة فيكشف العديد من عورات اليهود، وما يمتازون به عن بقية البشر من كثرة المكر والغش والخداع، من غير شعور أنه يتحدث عن رسول سماه الله إسرائيل حسب قوله ([44]) فهو الأساس والأب لجميع بني إسرائيل.

فها هو يعقوب يهرب من أرض لابان أبي زوجتيه بخداع، وتسرق إحدى زوجتيه أصنام أبيها عند الهرب (فسرقت راحيل أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان الأَرَامِيَّ إذ لم يخبره بأنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له، وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جِلْعَاد)[45] فهل يمكن عده وحياً ؟

24. يتمم هذا السفر قصة الهروب وبماذا أمر الله يعقوب بعدها وكيف طهر بيته من الآلهة الغريبة وضمها إلى أقراط الآذان فدفن الأقراط والآلهة عند مكان محدد تناقلته الألسنة الإسرائيلية بمن فيهم كاتب سفر التكوين، فيقول: (ثم قال الله ليعقوب قم اصعد بيت إِيْل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك، حين هربت من وجه أخيك عيسو، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه أعزلوا الآلهة الغريبة...، فأعطوا يعقوب كل الآلهة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البُطْمَة – اسم مكان – التي عند شَكِيْم[46] فهذا خبر بشري من كاتب بشري، دَوَّنَ ما كان متناقلاً على الألسنة، لا صلة له بالوحي.

25. لا يتورع كاتب سفر التكوين من ذكر أخبار الزنا التي تتحاشى البشرية ذكرها، بل جعل نصيباً منها لعائلة إسرائيل ومؤسس نسبهم يعقوب عليه السلام، فروى قصة دِيْنَة بنت يعقوب وكيف أخذها شَكِيْم بن حَمُوْر الحِوِّي وضاجعها وظلت عنده ثلاثة أيام مع علم الأسرة بمكان وجودها، فهل يعقل أن يكون ذلك وحياً؟ وقد عصم الله أنبياءه مع أسرهم من هذه الرذيلة.[47]

عبر التاريخ البشري:

26. حين تقرأ بقية هذه القصة تجد الغدر سمة بارزة من سمات اليهود، ولا يتورع الكاتب عن ذكرها، بل ربما عدها بطولة من بطولات اليهود، فقد قتل شَمْعُوْن ولَاوِي شقيقا دينة رجال المدينة التي كان يحكمها شَكِيْم غدراً، بعد إبرام اتفاق المصالحة وإيفاء أهلها بشروطها.

ثم يدخل بنو يعقوب لنهب المدينة وسبي النساء والأطفال والمواشي (وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا، ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم أنجسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت)[48] فهل يمكن تصور مثل هذا الخبر وحياً؟

27. ويبدو أن ظاهرة ذكر الزنا في هذا السفر غير مُعَاب، فهذا يهوذا يزني وينجب ثلاثة أطفال من زنا من غير نكير (وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عَدُلَّامِيٍ اسمه حِيْرَة ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شُوْع فأخذها ودخل عليها فحبلت وولدت ابناً ودعا اسمه عِيْرَاً ثم حبلت أيضاً وولدت ابناً ودعت اسمه أُوْنَان ثم عادت فولدت أيضاً ابناً ودعت اسمه شِيْلَة، وكان في كزيب حين ولدته.[49]

28. لا تستغرب إن اعترى كاتب هذا السفر ما يعتري البشر من النسيان والسهو فقد ذكر في سِفْرِه مرتين أن الله غير اسم يعقوب إلى إسرائيل مرة في الإصحاح 32[50] ومرة في الإصحاح 35[51] ثم نسي ما كتب فعاد في الإصحاح 42 وسمى إسرائيل باسمه الأبوي يعقوب (فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمحٌ في مصر قال يعقوب لبنيه... انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت)[52] فإن نسبنا هذا الخبر إلى الله كان الله نسياً وحاشا أن يكون كذلك، بل كاتبه من البشر غلبه النسيان فسمى يعقوب باسمه ونسي أنه قد سجل عن الله أنه غير اسم يعقوب.

29. يظهر على كاتب سفر التكوين أسلوب البشر بوضوح فينقل بعض الأخبار بصيغة الجزم وينقل الأخرى بصيغة التضعيف وغير اليقين لأنه بشر، فها هو يروي وصول خبر إخوة يوسف بالصيغتين (ثم وقع على عنق بِنْيَامِيْن أخيه وبكى، وبكى بنيامين وقَبَّلَ جميع إخوته وبكى عليهم، وبعد ذلك تكلم إخوته معه، وسُمِعَ الخبر في بيت فرعون، وقيل جاء إخوة يوسف فحسن في عيني فرعون وفي عيون عبيده)[53] فهو مؤرخ يذكر الخبر بأسلوب بشري كما يذكره سائر البشر، فهل يعقل بناء الفعل للمجهول في (سمع) و(قيل) والمخبر هو الله، هل الله يشك في خبره؟ حاشا أن يكون الخبر بهذه الصيغة إلهياً.

30. عند النظر في زيارة يوسف لأبيه في مرضه الذي توفي فيه تجد الكاتب يخبر بأسلوب قصصي ولا تشم منه رائحة الوحي، بل تراه حدثاً بشرياً صيغ صياغة بشرية (وحدث بعد هذه

الأمور أنه قيل ليوسف أبوك مريض فأخذ معه ابنيه: مَنَسَّى وأَفْرَايِم فَأُخْبِرَ يعقوب وقيل له هو ذا ابنك يوسف قادمٌ إليك فتشدد إسرائيل وجلس على السرير)[54]

31. يخبر هذا السفر بموت إسرائيل ووصيته في المكان الذي يُدْفن فيه وتحديد من دُفِن من آبائه وزوجاتهم في ذلك المكان فيقول:(ادفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عِفرُون الحِثي، في المغارة التي في حقل المَكْفِيْلَة التي أمام مَمْرَا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون ملك قبر، هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته، وهناك دفنت لَيْئَة. شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حِث، ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير وأسلم روحه وانضم إلى قومه)[55] فوصية إسرائيل وتحديد مكان الدفن وكونه انضم إلى قومه – بالفعل الماضي – هل يمكن عد ذلك وحياً إلهيا ؟.

المبحث الثاني: خلق الإنسان في سفر التكوين:

لم تستسغ العقلية اليهودية التوحيد وتَفَرُّد الإله بصفاته، وإنه لا يماثله شيء ولا هو يماثل شيئاً كما تراه في القرآن الكريم بوضوح قال تعالى: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[56]

خلق الإنسان على صورة الله: ينسب سفر التكوين إلى الله أنه خلق الإنسان على صورته (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض)[57]

ويخبر السفر بنتيجة القول ويؤكدها بتكرار المعنى فيقول: (فخلق الله الإنسان على صورة الله، خلقه ذكراً وأنثى، وباركهم الله، وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض)[58]

ويجزم سفر التكوين بخلق آدم شبيهاً بالله، من غير أي تميز للإله الخالق، فآدم وخالقه يماثل بعضهم بعضاً (يوم خَلق الله الإنسان على شبه الله عمله، ذكراً وأنثى خلقه، ودعا اسمه آدم يوم خُلِق)[59]

ويؤكد على مفهوم المشابهة بين الله والإنسان في الإصحاح التاسع في صورة (وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه، ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان، من يد الإنسان أخيه، سَافِك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه، لأن الله على صورته عَمِلَ الإنسان)[60]

ويصل مفهوم المماثلة بين الله والإنسان في كل الوجوه سوى استمرار الحياة ودوامها، ولخَوف الله أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة فيحيى مثل الله إلى الأبد فطرده من جنة عدن، وحرس طريق الشجرة بسيف ملتهب متقلب (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذُ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيى إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدنٍ الْكَرُوْبِيْم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[61]

تلخيص النصوص السابقة.

النصوص السابقة تبرز لنا النقاط التالية:

1. إن الله خلق آدم شبيهاً به.
2. ما أن الله شبيهٌ بالإنسان يلزم أن يكون فيه صفة الذكورة والأنوثة، لأن الإنسان يتركب منهما.
3. الله متسلط على مخلوقاته، والإنسان يماثله في التسلط فلا يغلبه شيء ولا يعجزه.
4. خاف اللهُ أن يشارك آدم وأبناؤه في صفة دوام الحياة فطردهم من الجنة.

مناقشة خلق الإنسان على صورة الله: قبل أن ندخل في مناقشة سفر التكوين يجدر بنا أن نذكر ما صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً....)[62].

وذكر ابن حجر أقولاً متعددة في مرجع الضمير (على صورته) أهمها:

1. الضمير راجع إلى آدم نفسه دفعاً لتوهم متوهمٍ أن صورته تغيرت من حياة الجنة إلى حياة الأرض، بل تعني الجملة أن حياته استمرت على صورته وصفاته إلى أن مات.
2. إن للحديث سبباً لوروده، إذ سيدٌ ضرب عبدَه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه النبي وقال: (إن الله خلق آدم على صورته).
3. الضمير راجع إلى الله وحدد ابن حجر معنى الجملة في هذه الحالة فقال:(والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء)[63]

إذن صفات الله لا تشبه صفات مخلوقاته، لا من الإنسان ولا من غيره، مع التماثل في التسمية، فلله من تلك الصفات ما يليق بجلاله وعظمته، ولآدم وأبنائه ما يتناسب مع ضعفهم وعجزهم.

إلا أن سفر التكوين ينفي هذا المبدأ، وإليك مناقشته في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل السليم.

أولاً: حين ننظر إلى النقطة الأولى نجدها تتعارض مع واقع الإنسان، فالله يتصف بصفة الغنى المطلق، غير محتاج إلى مخلوق من مخلوقاته من الإنسان وغيره، بينما الإنسان فيه الفقر والعجز، فهو دائم الاحتياج لا يستطيع الاستغناء لحظة في حياته، فهو محتاج إلى طعام لشبع بطنه، وإلى دواء لمعالجة مرضه، وإلى مُعِين من بني جنسه ليقضي له بعض ضرورياته، وإلى مثل ذلك جاءت الإشارة الإلهية في كتاب الله المحفوظ بلفظه ومعناه فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[64]

وإذا نظرت إلى النصوص الشرعية في هذا الدين الأخير فيما يخص خلق الإنسان شبيهاً بالله تجدها تصرخ في وجه المُشَبِّهة، الذين يرون أن الله خلق الإنسان على صورته، فمن أعظم وجوه الشبه في نظرهم مشاركة الإنسان لله في العلم والمعرفة، إلا أن النصوص الشرعية تمنع ذلك، وتنفي وجوه المشابهة بين الله والإنسان.

فها هو القرآن الكريم ينفي عن أعظم إنسان وُجد على وجه الأرض معرفته بالغيب، وإنه لو عرفه لما أُصِيب بسوء، ولكان الخير نصيبه في كل لحظات الحياة، ولاسيما في معرفة علم الغيب، فسيد الخلق محمدٌ صلى الله عليه وسلم ينفي عنه ربه معرفة ذلك، فَمَن سواه أولى بالجهل وعدم المعرفة، (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[65]

ثانياً: وعند النظر في النقطة الثانية وإلزام كاتب سفر التكوين بذكورة الله وأنوثته، أو ذكورته على أقل تقدير نجد العقل السليم يمتنع عن التحدث بمثله تجاه ذات الله عز وجل، لأن من مستلزماته إن كان ذكراً احتياجه إلى زوجة تؤنسه وأطفال ينجبهم منها، ثم التناسل مثل تناسل الإنسان فَتَتَكَوَّن السلالة الإلهية على وجه الأرض.

وهذا التصور في نظري هو الأساس المنطقي لعقيدة اليهود في عُزَيْر، وإنه ابن الله وعقيدة النصارى في بنوة عيسى ابن مريم لله، وتسميته له بالآب، كما أنه الأساس في تسمية الملائكة ببنات الله عند مشركي العرب، وقد جاء الرد القرآني فدحض كل هذه الافتراءات قال تعالى: في نفيه البنوة عن نفسه (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[66]

وقال عز من قائل في الرد على مشركي العرب (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)[67] وقد جاء الرد الجامع والمانع على افتراءات الذكورة والأنوثة والأبناء والبنات في أعظم سورة في القرآن الكريم، ولم تدع مجالا للخَرْصِ والتخمين أو التفكير بالعقل البشري المخلوق قال تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِد وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[68]

ثالثاً: وعند النظر في النقطة الثالثة، نقطة التسلط – تسلط الله على مخلوقاته... – نجد واقع حياة الإنسان لا يسند ذلك، فقضايا الحياة التي استطاع الإنسان التسلط فيها أقل من القضايا التي عجز عن بسط سيطرته عليها، فمن أبرز ذلك تأمين طعامه وشرابه، فملايين البشر يموتون جوعاً في هذا العالم رغم وجود كل الوسائل التي تؤمن الغذاء، من أرض ومياه للسقي ووجود البذور المُنبِتة، ومع ذلك لم يستطع القضاء على الجوع.

بل التسلط نزعة في الإنسان جاء الشرع لتخفيف حدتها بما يخدم الإنسان، فوضع الضوابط اللازمة لكبح جماحه، فها هي المرأة شريكة الرجل في الحياة نهاه الشرع عن إهانتها فضلاً عن الاعتداء عليها، واعتبرها أسيرة عنده وأمره بالإحسان إلى هذا الأسير فقد جاء في خطبة حجة الوداع (... ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عَوَانٌ عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ...)[69]

بل أمر الإسلام بالإحسان إلى كل شيء، حتى عند القتل وتنفيذ أمر الإله عز وجل، فقد صح من قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ، وليُحِد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته.[70]

رابعاً: وعند النظر في النقطة الرابعة من أن الله طرد آدم من الجنة، خوفاً من أن يأكل من شجرة الحياة، فيصبح مثل الله حياً إلى الأبد.

لا يشك عاقل في خرافة مثل هذا التصور، وقد أسسه كاتب سفر التكوين بناءً على أن الإنسان شبيه بالله، فإذا استسلمنا عقلاً لمثل هذا الوهم، فما أضعف هذا الإله، يخلق مخلوقاً فيضارعه في الصفات، ويعجز عن مقاومته، فلا يملك تجاهه سوى الطرد.

وإذا كان الأمر كذلك فهل يستطيع مثل هذا الإله العاجز محاسبَته، فيما أمره به وفيما نهاه عنه، في أخذ المعرفة عن طريق الأكل من الشجرة رغم نهيه له، إن ذلك مخالف لواقع حياة الإنسان من وجهين:

1. حياة الإنسان تشهد بجهله وعدم معرفته لأغلب قضايا الحياة، وما كشفه العلم المادي من السنن الإلهية في الكون نذر يسير لما يجهله الإنسان من هذه السنن، يحاول المرة تلو المرة كشفها فيفوز مرة ويفشل مرات، إذن ما علمه أقل مما يجهله بكثير، لذلك تجده دوماً في السعي الدءوب إلى كشف المعرفة، ووجود المعامل وإجراء الأبحاث المعملية خير شاهد لما أقول، فلولا وجود الجهل في حياة الإنسان ما تحرك خطوة إلى الرقي والأمام.

2. ينص الباري عز وجل في أحفظ كتبه بأنه العالم بما كان وبما هو كائن وبما سيكون، فالماضي والحاضر والمستقبل مكشوف له بعلمه سبحانه (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ).[71]

وقال عز من قائل (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[72]

هذا وقد نص القرآن الكريم على جهالة الإنسان، وإن ذلك هو واقع حياته فقال سبحانه:(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[73] إذن لا مجال لخرافة الأكل من شجرة المعرفة، بل اكتساب الإنسان للمعرفة يأتي عن طريق الوحي أو التجارب فحسب.

خلق الإنسان في القرآن الكريم: لقد تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان من جهات متعددة فبين مادة تكوينه فقال سبحانه: (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[74] ثم خُلِط التراب بالماء فأصبح طيناً متماسكا، ومنه بدأ خلق الإنسان (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)[75]

وبَيَّنَ هذه التسوية فقال سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)[76] وقد فسر الإمام البخاري رحمه الله الصلصال فقال: (صلصال: طين خلط برمل فصلصل كما يصلصل الفُخَار...، لازب لازم...، يَتَسَنة يتغير، آسن متغير والمسنون المتغير، حمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير)[77]

كما نص القرآن الكريم أن خلق آدم جاء مباشرة من الله عز وجل دون واسطة قال تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)[78] كما أمر الله ملائكته بالسجود له قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[79]

ثم تسلسل الخلق من آدم عن طريق اجتماع الرجل بالمرأة قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11))[80]

المبحث الثالث: صفات الله الإنسانية في سفر التكوين:

قبل الخوض في صفات الله الإنسانية ينبغي التعرف على كلمة (الله) وكلمة (الصفات) عند أهل اللغة، وتحديد المفهوم الذي تحمله كل كلمة.

تعريف كلمة (الله) عند أهل اللغة: يقول ابن منظور في مادة (أَلَهَ) (الإله اسم الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً، والجمع آلهة، والآلهة الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تَحِق لها)[81]

ويحدد ابن فارس في معجمه المعنى الأساسي لهذا البناء اللغوي فيقول: (أَلَهَ الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل إذا تعبد.... والإلاهة الشمس سميت بذلك لأن قوماً كانوا يعبدونها)[82]

ويقدم الجوهري تصريف كلمة (الله) فيقول (أله بالفتح أي عبد عبادة ومنه قولنا (الله) وأصله إله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود)[83]

وجمع الإله آلهة وهي الأصنام، وسمتها العرب بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحِق لها، والتأليه التعبيد، والتأله التنسك والتعبد[84]

ويرى ابن منظور أن (العرب يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام آلهة، وهي جمع إلاهة)[85]

فمفرد الآلهة موضع نزاع عند اللغويين، فهل مفردها إله أو إلاهة فالجوهري يرى الأول بينما ابن منظور يذهب إلى الثاني.

وفي اشتقاق الفعل من هذا الاسم (الله) قولان معروفان لعلماء اللغة:

1. أبو الهيثم يرى أن كلمة (الله) (أصله إلاه، وأصل إلاه وِلاه فقلبت الوا وهمزة، كما قالوا للوشاح إشاح، وللوجاح وهو الستر إجاح، والوِلاه يعني أن الخلق يُوَلَهون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم، كما يُوَله كل طفل إلى أمه)[86]
2. ويرجح صاحب لسان العرب عدم اشتقاق الفعل منه، فلا يصح تصريفه كتصريف اسم الله الرحمن الرحيم [87]

ويعتمد صاحب القاموس المحيط قول اللسان ويعضده قائلاً: (أله إلاهة وأُلُوهة عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولا... وأصحها أنه عَلَمٌ غير مشتق، وأصل أله كفعال بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه)[88]

ويحدد ابن منظور استعمال كلمتي (الإله) و(الله) عند العرب فيقول (فإذا قيل الإلاه انطلق على الله سبحانه وعلى ما يعبد من الأصنام وإذا قيل الله لم ينطلق إلا عليه سبحانه)[89]

وإدخال (أل) التعريف على اسم الله، وما تبع ذلك من القلب، والحذف، وتحويل الحركة، والإدغام، تفصيله كتب اللغة[90]

ونخلص مما سبق أن كلمة (الله) تعني المعبود، وهو عَلَمٌ على الذات، لا يشتق منه الفعل، وإنه اسم الله الأعظم إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

تعريف كلمة (صفات) عند أهل اللغة: كلمة الصفات جمع صفة وهي مأخوذة من فعل حروفه وَصَفَ يَصِفُ وَصْفَاً ووصوفاً وصفة ولها معان: منها الإجادة، والإطاقة، والتعيين، والإظهار والنعت...

والصفة: هي الحالة التي يكون عليه الشيء من حِلْيَتِه ونعته كالسواد والبياض والعلم والجهل، ويحدد ابن فارس المعنى الأساسي لهذا البناء اللغوي فيقول: (وصف: الواو والصاد والفاء أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أَصِفه وصفاً، والصفة الأمارة اللازمة للشيء[91]

ويعلل صاحب المصباح المنير الوصف فيقول: (وصفته وصفاً من باب نعته بما فيه، ويقال هو مأخوذ من قولهم: وصف الثوبُ الجسمَ إذا أظهر حاله، وبين هيئته)[92]

ويرى الجوهري أن التاء المربوطة في وصف يصف صفة عوض عن الواو في الماضي ويقدم للصفة مثالا فيقول: (وصفت الشيء وصفا وصفة، والهاء عوض من الواو.... والصفة كالعلم والسواد)[93]

ويؤيده ابن منظور في العِوَضِية، ويحدد المعنى الأساسي لهذا البناء اللغوي فيقول: وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة حَلَّاه، والهاء عوض من الواو، قيل الوصف المصدر والصفة الحِلْيَة (94

ويرى صاحب القاموس المحيط أن الصفة هي النعت ولا تفاوت بينهما (وصفه يصفه وصفا وصفة نعته فاتصف.... الوصاف العارف بالوصف)[95]

وبيع المواصفة: أن يبيع الرجل ما ليس عنده، ثم يبتاعه فيدفعه إلى المشتري لأنه باع بالصفة من غير نظر ولا حِيازة مِلْك[96]

وأما الصفة عند النحويين فهي النعت، والنعت هو اسم الفاعل نحو ضارب واسم المفعول نحو مضروب وما يرجع إليهما عن طريق المعنى كمثل وشبه[97]

ويجمع أهل اللغة أن من الصفات ما هو ظاهر محسوس، يمكن الشعور به بأحد الحواس الخمسة كالسواد والرائحة الكريهة، ومنها ما هو معنوي كالعلم وعزة النفس.

ونخلص مما سبق أن الصفة هي الحالة التي يكون عليه الشيء من حِليته وجماله، فصفات الله هي أوصافه الجميلة البالغة في الحِلية والحُسن غايته قال تعالى:(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[98]

فبعد أن عرفنا معنى كلمة الله وصفاته عند اللغويين، والمقصود منهما في الشرع نعود إلى سفر التكوين لنتعرف عليهما عند مؤلف هذا السفر، وما الصفات التي يتصف بها الله فيه.

فمن منطلق التشابه في الخلق بين الله والإنسان –كما سبق – يصف سفر التكوين ربه بصفات الإنسان فتجد الله فيه يخاف كما يخاف الإنسان، وله قلب وروح ويتنسم ويشم الروائح، ويأكل مثل أكل الإنسان من الزبد واللبن ولحم العجل، ويحزن مثل حزنه، ويمشي مثل مشيه، وينزل لرؤية الأبراج والمدن.

ويقف على سُلم مثل وقوف الإنسان، يجيء إلى المكان ويغادره، ويخبئ بعض أفراد الإنسان كما يخبئ الإنسان أخاه الإنسان، ويسير على قدميه في الأرض لتفقد عباده ويحادثهم، ويكذبون عليه فَيُكَذِّبُهم في وجوههم، ويستمع إلى الحكايات والروايات الشخصية ويحاور أفراداً للبحث عن مصالحهم...

وإليك تفصيل صفات الله الإنسانية بنصوص سفر التكوين، وأجلت النقد إلى نهاية المبحث، وجعلته مختصراً لعلم البشر بالبون الشاسع بين العظيم والعاجز، وبين المريض ومن يُشفي من المرض... فالبشر يدركون الفرق بين الخالق والمخلوق.

لذا لم أتطرق إلى مناقشة كل صفة على حدة، بل حصرت النقد في ذكر النصوص التي وردت في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اقتضاه العقل، أضف إلى ذلك أني ذكرت القواعد التي يجب تعاطيها تجاه ذات الله وصفاته عز وجل في هذا الباب، وفي ذلك غنى عن المناقشة التفصيلية لكل صفة على حدة.

صفات الله البشرية في سفر التكوين:

1. معرفة الخير والشر: يذكر سفر التكوين أن الله منع آدم وحواء من أكل ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فاحتالت الحية على حواء وزينت لها الأكل قائلة: (بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر)[99]

2. كذب الله: سجل سفر التكوين محاورة الحية لحواء (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت: للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من هذه الشجرة.

فقالت: المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال: الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت: الحية للمرأة لن تموتا)[100] ففي ضوء هذا النص كَذَبَ الله على حواء إذ أخبرها بأنكما – آدم وحواء – ستموتان متى أكلتما من ثمر هذه الشجرة، وكانت الحية عارفة بكذب الله، فهيأت حواء للأكل مع تقديم اليقين إليها بعدم الموت بعد الأكل.

3. خوف الله:

أ. يحكي سفر التكوين أن الله غلبته حالة الخوف من الإنسان بعد أن أكل من شجرة المعرفة، فطرده من الجنة التي كان يعيش فيها، خوفاً من أن يأكل من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد، وأقام حراسة على الطريق المؤدي إلى تلك الشجرة[101]

ب- يذكر سفر التكوين بعد حادثة طوفان نوح عليه السلام أن الناس كانوا يتكلمون بلغة واحدة، وإنهم وضعوا خططاً للبناء باللِبِن المشوي، وبنوا مدينة وبرجاً رأسه في السماء، ونزل الرب لرؤية المدينة والبرج فخافهم لتوحدهم في اللغة وإتقان العمل وتطويع كل ما يريدون عمله، فبلبل ألسنتهم في مدينة بابل حتى لا يفهم أحدهم كلام الآخر وبددهم في الأرض (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما.

وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هَلُمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة، لذلك دعي اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هنا بددهم الرب على وجه كل الأرض)[102]

4. قلب الله: إله سفر التكوين له قلب مثل قلب الإنسان، يسب ويشتم ويتأسف على النتائج المؤلمة، وانظر إلى حالة قلبه بعد حادثة الطوفان (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شريرٌ منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أُمِيتُ كل حيٍ كما فعلت)[103]

5. روح الله:

أ– يصف سفر التكوين روح الله بأنه كالطير يرفرف ويطير منفصلاً عن الله (وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغَمْرِ ظلمةٌ وروح الله يَرِفُّ على وجه الماء)[104]

ب– خرجت روح الله من جسد الإنسان لَزَيَغانِه، فهو الآن بغير روح الله (فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لِزَيَغانِه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة)[105]

ت– وقد دخلت هذه الروح على حد قول فرعون برواية سفر التكوين في جسد يوسف عليه السلام، بعد تعبيره للرؤيا (فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله) ([106])

ث– ومن منطلق هذا الحلول حل الإله في ثلاثة رجال، مروا في طريقهم على إبراهيم لإهلاك قوم لوط في سدوم وعمورة (وظهر له الرب عند بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض)[107]

6– أكل الله: بما أن الله مثل الإنسان فلا مانع أن يأكل ما يأكله الإنسان، ويستظل بظل شجرة لاتقاء الحر، ففي قصة الرجال الثلاثة – السابقة – الذين حل فيهم الإله، يقول سفر التكوين عن أكله واستظلاله: (وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليُؤخَذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت.

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كَيْلات دقيقاً سَمِيْذَاً، اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عِجْلاً رَخْصاً وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زُبَدَاً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم، وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا)[108]

7- وقوف الله على سُلَّم: يحكي سفر التكوين حلم يعقوب عليه السلام – وأحلام الأنبياء حق وصدق – فقد رأى سلما منصوباً على الأرض يمس رأسه السماء، وأن الله واقف عليه وملائكته تهبط وتصعد عن طريقه، وباركه الرب في ذلك المكان (ورأى حلما، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك)[109]

8- مَشيُ الله:

أ- يخبر سفر التكوين بمشي الله، وأن آدم وحواء سمعا صوت مشيه في الجنة، إذن مشيه مشابه لمشي الإنسان (وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت ؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت)[110]

ب- كما يخبر سفر التكوين مشي الله مع أَخْنُوْخ الذي يرتبط بآدم في الجد السادس، ولم يتشرف بالسير معه إلا بعد ولادة ابنه مَتُوْ شَالَح (وسار أَخْنُوْخ مع الله بعد ما وَلَدَ مَتُوْشَالَح ثلاث مئة سنة،وولد بنين وبنات)[111]

9- حزن الله: يُصاب رب سفر التكوين بالحزن كإصابة الإنسان عند رؤيته النتائج المؤلمة، فقد أصيب هذا الرب بالحزن عند ما كثر شر الإنسان، ورآه ربه لا يفكر إلا في الشر (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبَّابات وطيور السماء، لأني عملتهم)[112]

10- تَنَشُّقُ الله: إله سفر التكوين يحب الذبح وحرق اللحم، لذا كثر ذكر المحرقة في هذا السفر ولاسيما في عهد يعقوب عليه السلام، فهو يستنشق رائحة اللحم المحروق ويحب تلك الرائحة (وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصْعَدَ مُحْرَقَات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا) ([113])

11- تخبئة الله: يذكر سفر التكوين أن الله أخفى أَخْنُوخ بعد ما وُلِدَ له مَتُو شَالَح وخبأه عن الناس، ولم تعد الناس تراه لإخفاء الله إياه، فإخفاء الله في هذه القصة شبيه بإخفاء البشر بعضهم لبعض ([114])

12- عدم علم الله السابق: رب سفر التكوين لا يعلم بالحدث إلا بعد وقوعه، فلا يملك علماً سابقاً عن الأحداث قبل وقوعها، فهو يرى لَيْئَة مكروهة عند زوجها يعقوب عليه السلام فيفتح رحمها للولادات المتكررة (ورأى الرب أن لَيْئَة مكروهة ففتح رحمها، وأما رَاحِيْل فكانت عاقراً، فحبلت ليئة وولدت ابناً ودعت اسمه رَأُوْبَيْن، لأنها قالت إن الرب قد نظر إلى مذلتي إنه الآن يحبني رَجُلي، وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت إن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضاً، فدعت اسمه شِمْعُوْن)[115]

13- محاورة الله لغير الأنبياء: عند قراءتك لقصة ابني آدم اللذَين اسماهما سفر التكوين قَايِيْن و هَابِيْل، واغتياظ الأول من الآخر لقبول قربانه دون الثاني فقتله، ومحاورة الله للقاتل شبيهة بمحاورة إنسان مسالمٍ لإنسان معتدي، فالله يسأل في غاية الأدب ويجيبه القاتل بغاية السوء، فما أضعف هذا الرب الذي يسيء إليه أضعف خلقه (وحدث إذ كانا في الحقل أن قَايِين قام على هَابِيْل أخيه وقتله، فقال: الرب لقايين: أين هابيل أخوك فقال: لا أعلم أحارس أنا لأخي، فقال: ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخٌ إليَّ من الأرض)[116]

14- التكذيب في الوجه: يسأل إله سفر التكوين الذي حل في الرجال الثلاثة الذين استضافهم إبراهيم، وسألوه عن زوجته سارة (وقالوا له أين سارة امرأتك فقال: ها هي في الخيمة... وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه... فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ، فقال الرب: لإبراهيم لماذا ضحكت سارة... فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك لأنها خافت فقال: لا بل ضحكت) ([117]) إنها لمحاورة إنسان لإنسان، يصعب على العقل تصديقها بأن يكون أحد طرفيها هو الخالق عز وجل.

15- نسيان الله: قوس قزح علامة تذكير لله في سفر التكوين، حين ينسى الله الميثاق الذي أبرمه مع مخلوقاته بعد حادثة الطوفان، وإنه لا يهلكها كما أهلك ما سبقها بطوفان نوح عليه السلام (وضعتُ قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر

سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي، الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد، فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد، فمتى كانت القوس في السحاب أُبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية، في كل جسد على الأرض)[118]

16- المكان يحيط بالرب: ذَكَرَ سفر التكوين قصة خروج يعقوب من بئر السبع للذهاب إلى حَارَان، فآواه المبيت في الخلاء فظهر له الرب في النوم (فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم وخاف، وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء)[119] فالمكان الذي ظهر فيه الرب أحاط به، فما أضعفه إذ يحيط به مخلوق من مخلوقاته، ويحصره في دائرة معينة.

17- ظهور الرب: ظهور الرب للإنسان ظاهرة بارزة في سفر التكوين، تكررت مرات عديدة في هذا السفر، ولها صورتان:

أ- يظهر الرب مناماً فيعطي تعليماته وإرشاداته للإنسان الذي ظهر له، من أمر ونهي وتوبيخ وطمأنينة...، ولا يشترط في هذه الصورة أن يكون الرائي مبعوثاً من عند الله، كما حدث لأَبِيْمَالِك حين أخذ سارة من إبراهيم (وقال: إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي، فأرسل أبيمالك ملك جَرَار وأخذ سارة، فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها...، ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضاً نفسها قالت: هو أخي، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا...، فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا، وإن كنت لست تردها فاعلم أنك ميت تموت أنت وكل من لك)[120]

وحدث مثل ذلك لِ لَابَان الآرَامِيْ والد زوجتي يعقوب عليه السلام، ليحذره من الإساءة إليه (وأتى الله إلى لَابان الآرامي في حلم الليل، وقال له: احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر)[121]

ب- ظهور الرب لبعض مبعوثيه لاسيما إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وظهوره للأخِيْـرَيْنِ متكرر من جهة وعَلَنِيٌ يقظة من جهة أخرى، فقد ظهر لإبراهيم في صورة ثلاثة رجال علنياً في وضح النهار من غير نوم كما سبق، وظهر لإسحاق أكثر من مرة، فمرة علناً حال اليقظة

وحاوره وأرشده (وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر و اسكن في الأرض التي أقول لك، تَغَرَّبْ في هذه الأرض فأكون معك وأباركك).[122]

ومرة ظهر له مناماً وعرَّفه بنفسه قائلاً (ثم صعد من هناك إلى بئر سبع، فظهر له الرب في تلك الليلة وقال: أنا إله إبراهيم أبيك، لا تخف لأني معك وأباركك)[123]

وأما ظهوره ليعقوب عليه السلام فكله علني يقظة من غير نوم (ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت إِيْلَ وأقم هناك، واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك)[124] كما ظهر له عند مجيئه من فَدَّان أَرَام (وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فَدَّان أَرَام وباركه وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل فدعى اسمه إسرائيل)[125]

وكان آخر ظهور الله ليعقوب في أرض كنعان (وقال يعقوب ليوسف : الله قادر على كل شيء، ظهر لي في لَوْزَ في أرض كنعان وباركني، وقال لي: ها أنا أجعلك مثمراً وأُكَثِّرك وأجعلك جمهوراً من الأمم)[126]

وتتبع ظهور الله في سفر التكوين يقود القارئ إلى أن الله أوقف نفسه على خدمة بني إسرائيل، فكلما احتاجوا إليه يظهر لهم لتقديم المساعدة المطلوبة دون تأخير.

18- مصارعة الرب مع يعقوب: يصل الأمر بسفر التكوين إلى حد تصوير الله بأنه أضعف من ولد آدم، فيصارع مخلوقه يعقوب ليلة كاملة، ولا يتمكن من إلحاق الهزيمة به ولا يستسلم له يعقوب، رغم علمه أن خصمه في المصارعة هو الله (ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مَخَاضَةَ يَبُوْق، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له، فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فَخِذِه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر.

فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقَدَرْتَ، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك فقال: لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك.

فدعا يعقوب اسم المكان فَنِيْئِيْل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونُجِّيَتْ نفسي، وأشرقت له الشمس إذ عبر فَنُوئِيل وهو يَخْمَعُ على فخذه، لذا لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء الذي على حُقِّ الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء) ([127]) فهل يمكن أن يكون هذا الحدث وحياً بلفظه ومعناه ؟، أو بمعناه فقط ؟، ولا شك أن وجوده في هذا السفر كافٍ لحرمانه من الانتساب إلى الله.

19- استراحة الله: يخبر سفر التكوين أن الله فرغ من عمل الخلق مع نهاية اليوم السادس، فاستراح في اليوم السابع وباركه لأنه استراح فيه (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا)[128]

20- كما أنك لا تعدم في هذا السفر وجود نصوص تقود إلى نفي علم الله السابق قبل وقوع الحدث، ومن ثَمَّ يتغير رأيه بعد رؤية النتائج ([129])

وفي ضوء هذه النتائج المتغيرة تجده يلعن[130] ويوبخ[131] وينتقم[132] ويحابي[133] ويختار[134] ويضرب[135] وينادي[136] ويذهب ويجيء[137] وله وجه مثل وجه الإنسان[138] ويغلق الأرحام ويفتحها[139] ويخاطب الحامل ويخبرها بصفات الحمل[140] ويخطط كمهندس معماري يضع المواصفات المطلوبة[141] وخياط وصانع ألبسة[142]

مناقشة صفات الله البشرية في سفر التكوين:

لن أطيل في مناقشة (صفات الله الإنسانية) لأن البشر يدركون الفارق العظيم بين الخالق والمخلوق، بل سأقتصر على جُمَلٍ ترشد العقل وتنير له الطريق، وأعضدها بذكر النصوص السمعية قرآناً وسنة واضحة الدلالة، وأختمها بذكر القواعد الأساسية التي يجب تبنيها على كل إنسان عاقل، يسمح لعقله بممارسة التفكير، فضلاً عن مسلم يؤمن بدين الله الأخير.

أولاً: ذكر القرآن الكريم قضية الأكل من الشجرة، وأن الذي شجع آدم وزوجه على الأكل هو الشيطان، وحدد النتيجة التي ترتبت على ذلك من إبداء سوآتهما، فلا مقام أمام العقل السليم إلا التبني لما جاء في القرآن الكريم، لأنه وحي الله الأخير لفظاً ومعنى، ولم تصل إليه يد التحريف، قال تعالى: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[143]

ثانياً: ما نسبته الحية إلى الله في سفر التكوين لا مقام له في الصدق، بل جزم القرآن الكريم أن الله نهى آدم وزوجه من الأكل من الشجرة – ربما اختباراً وامتحانا – فزين لهما الشيطان لا الحية فأكلا منها، فظهرت لهما سوءاتهما وعرفا أنهما عاريان، دون بقية المعارف التي يحتاج إليها الإنسان في حياته، قال تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[144]

وقد أخبر القرآن الكريم أن الله عَرَّف آدم بأسماء الأشياء، وإنه لم يعرفها عن طريق الأكل من الشجرة، بل المعرفة المكتسبة عن طريق الأكل انحصرت في شعورهما بالعُري فحسب، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[145]

ثالثاً: أما قضية خوف الله من آدم لئلا يأكل من شجرة الحياة... فخرافة من خرافيات سفر التكوين، فالله أجل وأعظم من تصور هذا السفر، فحجم الإنسان في مخلوقات الله لا يتعدى حجم حلقة ملقاة في فلاة من الأرض، فما حجم هذه الحلقة في دائرة المخلوقات المتعددة...، وانظر إلى بعض قدرة الله في مخلوقاته حتى تتعرف على عظمة الخالق وعجز الإنسان قال تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)[146]

وقال سبحانه: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[147]

فلو استعمل كاتب سفر التكوين عقله وحلل حادثة الطوفان لَقَادَهُ ذلك إلى التعرف على قدرة الله وعظمته، ولمنعه ذلك من ذكر مثل هذه القضايا غير الواقعية التي لا رصيد لها من الوحي.

رابعاً: أما بقية صفات الله البشرية فلا مكان لمناقشتها في العقل السليم، لمخالفتها واقع الحياة البشرية من جهة، وواقع حياة المخلوقات الأخرى جمعاء من جهة أخرى، والخوض في مناقشة مثل ذلك مضيعة للوقت وإهانة ينسبها المناقش إلى عقله وعقل من يقرأ له، والترفع عن مثل ذلك مطلب عقلي يقود إلى تقدير الله حق التقدير وتعظيمه حق التعظيم.

قواعد في أسماء الله تعالى وصفاته:

وأعظم ما يكشف هذه الحقيقة هي القواعد التي استنبطها علماء الإسلام من نصوص الكتاب والسنة تجاه أسماء الله صفاته عز وجل، ولا يسعني ذكرها جميعاً، وسأكتفي بذكر ما يتناسب مع الصفات والأسماء التي تناولها سفر التكوين فمن أعظم هذه القواعد:

القاعدة الأولى: لا يُقاس الله بمخلوقاته.

وتعني هذه القاعدة تنزيه الله جل وعلا أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات مخلوقاته[148] وقد جاء التوجيه الرباني إلى هذه القاعدة في وحيه الأخير في العديد من آياته، قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[149] وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[150] فمن صفات المؤمنين بالله إيمانهم بأن الله ليس كمثله شيء، فينفون عن صفاته التكييف والتمثيل، فلا يقيسونه سبحانه بخلقه.[151]

فلا يُقاس بخلقه، ولا يستعمل في حقه الأقيسة التي تقتضي المساواة والمماثلة، بين المقيس والمقيس عليه فيما يتصل بالله عز وجل، فلا يستعمل في حقه قياس التمثيل الأصولي الذي يعني وجود مماثلة بين الأصل والفرع، ولا قياس الشمول المنطقي الذي يعني الاستدلال بكليٍ على جزئيٍ لدخوله فيه، لأن هذا القياس مبني على استواء الأفراد في الكلي وتماثلهم فيه.

فالقياسان ممتنعان فيما يتصل بالله، فلا مساواة بين الله وبين شيء من مخلوقاته، فلا يستعمل في حقه إلا قياس الأَّولى، ومضمونه: كل كمالٍ ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فالخالق أَولى به من المخلوق، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أَولى بالتنزه عنه[152]

القاعدة الثانية: كل صفة فيها نقص بوجه من الوجوه تنزه عنها المخلوق فالله أولى بالتنزه عنها.

وعند النظر إلى الصفات السابقة التي اتصف بها رب سفر التكوين، تجد فيها نقصا بوجهٍ من الوجوه، كخوفه سبحانه أن يشاركه آدم في دوام الحياة...، ويحزن ويخبئ الأفراد ويسمع الخبر من مخلوقه فيستوثق بنفسه لعدم علمه السابق، ويحاور مخلوقه فيقسو عليه المخلوق في الكلام ويسيئ الأدب إليه، ويكذب عليه مخلوقه فلا يملك إلا أن يكذبه في وجهه، وينسى، ويحيط به المكان كما يحيط المكان بالإنسان، وله ظهور لإعانة بني إسرائيل، ويصارع ابن إنسان فلا يستطيع التغلب عليه، ويستريح من تعب العمل...

كل هذه الصفات صفات نقص يتنزه الإنسان من الاتصاف بها، فالله أولى بالتنزه عنها، لذا يجب على الإنسان العاقل أن ينفي عن الله مثل هذه الصفات، التي تقود إلى النقص والعجز وما لا يليق بالله عز وجل.

ومتى كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه عز وجل، كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى ونحوها، وقد جاء القرآن الكريم بنفيها عن الله وإثبات نقيضها قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58)[153]

وقال سبحانه: حكاية عن قول موسى عليه السلام رداً على تساؤلات فرعون (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)[154] وقال: عز من قائل (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)[155]

وعاقب جل وعلا الواصفين له بمثل هذه الصفات، فقال: في عقاب اليهود (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء...)[156]

وقال فيهم أيضاً سبحانه: (لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ)[157]

وإن كانت الصفة كمالاً في وجهٍ ونقصاً في وجهٍ آخر، جاز وصف الله بها في الوجه الأول، وامتنع وصفه بها في الوجه الآخر، ولا تأتي مثل هذه الصفات إلا في مقابلة من يعاملون الفاعل بالمِثْل، لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، مثل صفة المكر والخداع والاستهزاء قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ([158]) وقال: عزمن قائل (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)[159] (وقال: سبحانه: (اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)[160]

القاعدة الثالثة: الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات.

وتعني هذه القاعدة أن اتفاق الاسم لا يقود إلى المساواة في المسمى، فإنا نقول مثلاً: يد الحقيبة ويد الجمل ويد الإنسان، فاليد في كل تركيب من التراكيب الثلاثة لها معنى يخصها، مبايناً لغيره.

ومثل ذلك ما أخبرنا الله أن في الجنة لبناً وعسلاً وخمراً، ونعلم أن في الدنيا لبناً وعسلاً وخمراً، وحقائق الجنة وأن كانت موافقة في التسمية للموجود في الدنيا، فإنها لا تماثلها البتة في الحقيقة والمحتوى، فإذا كان هذا التباين قائماً بين المخلوقات، فالخالق أعظم مباينة من مباينة المخلوق للمخلوق.

ويترتب على ذلك التخلي عن محظورين:

أ. التمثيل: ويعني اعتقاد المثبت بأن ما أثبته من صفات لله مماثل لصفات المخلوقين، وهو اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل، أما السمع فلقوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)[161] وأما العقل: فإنا نعلم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، حتى تُلَائِم كل صفة موصوفها.

أضف إلى ذلك أن الرب لن يكون كاملاً من جميع الوجوه، وهو يشابه في صفاته مخلوقه المَرْبُوب، المفتقر إلى من يُكْمِله، إن ذلك انتقاص في حق الخالق، لأن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

ب. التكييف: ويعني اعتقاد المثبت في صفات الله أن كيفية صفاته كذا وكذا، من غير تقييدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل، أما السمع فلقوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا)[162] ومن المتيقن أنا لا نعلم كيفية صفات ربنا عز وجل، رغم أنه أخبرنا بصفاته ولكنه لم يخبرنا بكيفيتها، ومتى كَيَّفْنَاهَا كان قَفْوَاً لما ليس لنا به علم.

كما أن التكييف منتفٍ عقلاً، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره، وكل ذلك منتفٍ في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تَكْيِيْفِهَا.[163]

القاعدة الرابعة: قطع الأطماع عن إدراك حقيقة الكيفية.

ويعني العلماء بذلك إقناع النفس البشرية بعدم قدرتها على إدراك كيفية صفات الله، لأن إدراكها مستحيل، قال تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)[164] فالفعل (يحيطون) فعل مضارع، والمضارع ينحل عند النحويين عن مصدرٍ وزمن، (فالإحاطة) تكمن في مفهوم هذا الفعل، وتَسَلَّط النفيُ على الإحاطة يقود إلى معنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض، وبذلك ينتفي جنس أنواع الإحاطة – بما في ذلك المستندة إلى العلم الذي يتعاطاه البشر.

القاعدة الخامسة: صفات الله توقيفية:

ويعني العلماء بهذه القاعدة أن صفات الباري عز وجل لا تثبت إلا بنص قرآنيٍ أو بنص حديثي معلوم الصحة، وبذلك أحكم علماء الإسلام إغلاق باب الصفات، وقطعوا الطريق أمام الأطماع البشرية، ومن تُسَوِّل له نفسه الدخول إلى ما يختص بالله، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الصفات، فوجب الوقوف في ذلك على النص، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يُتَجَاوَزُ في ذلك الكتاب والسنة.

الخاتمة: وتتضمن ملخص البحث وأهم نتائج البحث:

1. ملخص البحث:

تتفق المصادر اليهودية أن التوراة بأسفارها الخمسة كتبها موسى عليه السلام، أو أملاها على كاتبٍ حضر لديه، أو كُتِبت في عهده وأظهر رضاه عما فيها.

إلا أن هذا الاتفاق مناقض لواقع هذه الأسفار من وجوه:

1/ وجود أحداثٍ في هذه الأسفار وقعت بعد موت موسى عليه السلام بأحقابٍ متفاوتة.

2. إتلاف التوراة وضياعها في أحداث الزمن المختلفة مراتٍ عديدة.

3. الأصل العبري للتوراة المنزلة من عند الله مفقود، وترجمة ذلك الأصل هي الأساس للتوراة العبرية الموجودة المعاصرة، مع جهالة المترجم وفقدان الأصل المترجم منه.

فسفر التكوين جهدٌ بشري يشتمل على تاريخ بني إسرائيل، منذ وجود أول إنسان على وجه الأرض، ظل يكتمل أحقاباً متعاقبة بعد موت موسى عليه السلام.

خلق اللهُ الإنسان في سفر التكوين على صورته، مماثلاً لله من كل الوجوه، إلا أن ذلك مخالفٌ لواقع الإنسان من وجوه:

أ/ يتصف الإنسان بالعجز الدائم في هذه الحياة، بينما الله الخالق يتصف بالغنى المطلق، فلا يحتاج إلى شيء.

ب. مماثلة الله للإنسان تقود إلى صفة الذكورة والأنوثة فيه، فكان ذلك نواة للسلالة الإلهية – سبحانك عما يقول الظالمون – على وجه الأرض، فمعتقد اليهود في عزير والنصارى في عيسى ابن مريم ومشركي العرب في الملائكة استنباط منطقي لمثل هذه المماثلة.

ت. قدرة الإنسان على قضايا الحياة، ووقوفه عاجزاً أمامها دليل قطعي يناقض المماثلة، فالله لا يعجزه شيء، بينما الإنسان عاجز في جل قضايا الحياة.

ث. أبدية حياة الإنسان جزء من مماثلة الإنسان لله، إلا أن واقعه يخالف ذلك، لأن الموت يلاحقه مهما طال حياته، وتعليل سفر التكوين بحراسة الله لشجرة الحياة غير مقنعٍ للعقل البشري.

اقتضت مماثلة الإنسان لله في العديد من صفاته كمعرفة الخير والشر، والكذب والخوف، ووجود الروح والقلب، والأكل والمشي والحزن، وعدم العلم السابق للأحداث والنسيان، وإحاطة المكان بالله وظهوره للبشر في الأوقات الحرجة لإعانة بني إسرائيل...

كل تلك الصفات يتصف بها الله في سفر التكوين، بينما هي منتفية عن الله في القرآن الكريم وسنة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، بالنص القاطع (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) ([165]) فلا يشبهه شيء، ولا هو يشبه شيئاً، فكل صفة تقود إلى اتصاف الله بالنقص فالله منزهٌ عنها، والاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات.

ومن هنا جزم علماء الإسلام أن صفات الله توقيفية، لا تثبت إلا بنص من القرآن الكريم، أو بنص من السنة الصحيحة.

2. أهم نتائج البحث

في المبحث الأول ظهر لي مِنْ تتبع أحداث سفر التكوين:

1. أنه دُوِّنَ في الفترة التي عاشها يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام.
2. أكثر من نصف هذا السفر يتحدث عن هذه الفترة، فمن الإصحاح الخامس والعشرين إلى نهاية السفر تجده يتحدث عن يعقوب وأحداثه وعن يوسف وأحداثه، وحديثه عن يعقوب أكثر من حديثه عن يوسف عليهما السلام.
3. كثرة ذكره لأحداث يعقوب يقودني إلى القول بأن كاتبه عاش في فلسطين أطول فترة من حياته، وعاصرت حياته حياة يعقوب عليه السلام.
4. ما كتبه عن خلق الخلائق وتناسل البشر وسفينة نوح ثم حياة إبراهيم كل ذلك كان حديث الألسن بين البشر، وربما كان مسجلاً بطريقة ما، فاستقى مؤلف سفر التكوين تلك الأخبار ودَوَّنها، دُوْن أن يكون لها دقة الرصيد من الوحي.
5. تفصيل السلالات من ذكر الأبناء والبنات والزوجات والتصاهر... كل ذلك قادني إلى الجزم بأن كاتبه من سلالة يهودية، لا يسمح فكره بذكر السلالات غير اليهودية، وإن ذكرها في بعض الأحداث لم يكن ذكره لها إلا عرضاً لصلة الحدث باليهود، لولا ذلك ما تطرق إلى ذكرها على الإطلاق.

6. سفر التكوين سفر يهودي لتاريخ بني إسرائيل خليط الأخبار، ربما جاء الوحي ببعضها وتناقلته الألسنة دون التقيد بألفاظها، وظلت متناقلة حتى دونها كاتب السفر، فهو سفر بشري الألفاظ من غير نزاع، قليل الصلة بالوحي كثير الصلة بالبشر.

في المبحث الثاني توصلت إلى:

1. أنه لا مجال بعد بيان القرآن الكريم لكهانة خلق الإنسان شبيهاً بالله، وما ذكره سفر التكوين لا يستند إلى الوحي وخبر الله.

2. تفسير سفر التكوين لمفهوم – خلق الله الإنسان على صورته – تفسير اجتهادي، ساندە تشابه الصفات في التسمية بين الله وبين الإنسان، فلله وجه وللإنسان وجه، ولله يدٌ وللإنسان يد، ولله سمع وللإنسان سمع، ولله بصر وللإنسان بصر.

3. التشابه في التسمية قاد سفر التكوين إلى تشابه المسميات بين الله والإنسان، فنسب إلى الله صفات تماثل صفات الإنسان وتساويه، وحاشا أن يكون الأمر كذلك، لأن الله نفى المشابهة بينه وبين مخلوقاته من الإنسان وغيره، قال تعالى: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[166]

4. لله ما يليق بجلاله وعظمته من الصفات وللإنسان ما يليق بضعفه وعجزه من تلك الصفات، وتشابه الأسماء لا يقود إلى تشابه المسميات في المخلوق فما بالك في الله، فللإنسان يد وللجمل يد فهل هما متماثلتان ؟ فإذا كان ذلك التشابه منفياً في المخلوق فالله أولى بالنفي عقلاً، كيف وقد سانده الوحي كما سبق.

في المبحث الثالث توصلت إلى:

1. صفات الله في هذا السفر مثل صفات الإنسان تماما من غير فارق يُذكر، فهو يكذب، ويخاف، ويأكل، ويقف على سُلم........

2. تكوينه الجسمي يشتمل على القلب والروح، والقدمين واللسان، والأنف والعقل.

3. يعتري إله سفر التكوين ما يعتري الإنسان، من نسيان وجوع، ومحاورة مع غير الأنبياء، ويكذِّبه بعض بني البشر في وجهه، ويستريح من عناء العمل، ويلعن ويوبخ، ويغلق الأرحام فلا تلد النساء....

4. المكان يحيط بإله سفر التكوين، كما يحيط البيت بصاحبه.

5. لا يُقاس الله بمخلوقاته ف (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

6. فمن منطلق نفي المثلية يجب تنزيه الله عن كل ما يتنزه عنه مخلوقه.

7. الاتفاق في الأسماء لا يُوجبُ الاتفاقَ في المسميات.

8. لا يستطيع العقل البشري إدراك حقيقة الله، فعليه الاستسلام لما ورد عن طريق الوحي تجاه الله وصفاته، ولا طريق سواه.

9. صفات الله توقيفية لا مكان للعقل والاجتهاد البشري فيها، ومن هنا كانت عقيدة السلف في صفات الله إثبات ما أثبته الله لنفسه، من غير تحريف ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لا يماثله شيء، ولا هو يماثل شيئاً، سبحانك ربي عما يقول الظالمون عن جهلٍ، بما لا يليق بجلالك وعظمتك.

الهوامش والإحالات:

[1]. سورة الحجر آية 15.

[2]. انظر مثلا الملل والنحل للشهرستاني، اليهودية (مقارنة الأديان. لأحمد شلبي، اليهودية بين المسيحية والإسلام لخلف محمد الحسيني، الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري وناصر العقل، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، وقد خصص 250 صفحة من مؤلفه لليهودية ألا أنه لم يتعرض لموضوع الذات الإلهية وصفاتها بشيء ذي بال.

[3]. صفحة 89.

[4]. من صفحة 103– 107.

[5]. سفر التكوين، الإصحاح 35 فقرة 21، ص58.

[6]. الإصحاح 14 فقرة 25، ص562.

[7]. الإصحاح 22 فقرة 8–9، ص 624.

[8]. أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السادس والثلاثون فقرة 16–20، ص737.

[9]. انظر دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن صفحة 198–199.

[10]. انظر دراسات في الأديان للدكتور الأعظمي صفحة 201، ودراسات في الأديان للدكتور سعود الخلف صفحة 90–91.

[11]. انظر لتفصيل هذه النسخة، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للدكتور سعود الخلف صفحة 90.

[12]. صفحة 201.

[13]. سورة البقرة آية 79.

[14]. صفحة الغلاف.

[15]. سورة الأعراف آية 145.

[16]. سورة الأعراف آية 154.

[17]. سفر التكوين، الإصحاح الخمسون فقرة 25 ص 87.

[18]. الإصحاح الأول، فقرة 1–2، ص 3.

[19]. ولا شك أن ذلك معارض لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب فقال: ما أكتب قال: أكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد) سنن الترمذي، كتاب القدر...، باب ما جاء في الرضا بالقدر.

[20]. سفر التكوين، الإصحاح الأول، فقرة 9– 10 ص 3.

[21]. سفر التكوين، الإصحاح الثاني، فقرة 4 ص 5.

[22]. فقرة 1– 32 ص 9– 10.

[23]. فقرة 1 ص 10.

[24]. سفر التكوين، الإصحاح السابع، فقرة 10– 13، ص 12.

[25]. سفر التكوين، الإصحاح العاشر، فقرة 8– 10، ص 16.

[26]. سفر التكوين، الإصحاح العاشر، فقرة 18 – 19، ص 16.

[27]. سفر التكوين، الإصحاح العاشر، فقرة 11–12، ص 16.

[28]. سفر التكوين، الإصحاح العاشر، فقرة 25، ص 16.

[29]. سفر التكوين، الإصحاح الثالث عشر، فقرة 10، ص 20

[30]. سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر، فقرة 15، ص 23.

[31] . سفر التكوين، الإصحاح 18، فقرة 20- 22، ص 26.

[32] . سفر التكوين، الإصحاح 22، فقرة 1- 14، ص 32- 33.

[33] . سفر التكوين، الإصحاح 22، فقرة 19- 21، ص 33.

[34] . سفر التكوين، الإصحاح 23، فقرة 1-4، ص 34.

[35] . انظر سفر التكوين، الإصحاح 24، ص 35- 36.

[36] . سفر التكوين، الإصحاح 25، فقرة 18، ص 39.

[37] . سفر التكوين، الإصحاح 26، فقرة 34- 35، ص 41-42.

[38] . سفر التكوين، الإصحاح 27، فقرة 41-45، ص 44.

[39] . وهم: رَاوبِيْن وشَمْعُوْن ولَاوِي ويَهُوْذَا.

[40] . وتعني الجملة هل أنا الله الذي منعكِ الحمل.

[41] . سفر التكوين، الإصحاح 30، فقرة 1-3، ص47.

[42] . اللفاح نبت عشبي معمر سام من فصيلة باذنجان، ويسمى الآن بَيْـرُوح ينبت بريا في بعض مناطق الشام. انظر المعجم الوسيط ج 2 ص 838.

[43] . سفر التكوين، الإصحاح 40، فقرة 14- 16، ص 48.

[44] . انظر سفر التكوين، الإصحاح 32، فقرة 38، ص 54.

[45] . سفر التكوين، الإصحاح 31، فقرة 19- 21، ص 50.

[46] . سفر التكوين، الإصحاح 35، فقرة 1- 4، ص 57

[47] . انظر سفر التكوين، الإصحاح 34 كاملاً ص 55- 57.

[48] . سفر التكوين، الإصحاح 34، فقرة 26-29، ص 57.

[49] . سفر التكوين، الإصحاح 38، فقرة 1-5، ص 63.

[50] . فقرة 38، ص 54.

[51] . فقرة 10، ص 58.

[52] . فقرة 1-2، ص 71.

[53] . سفر التكوين، الإصحاح 48، فقرة 1-2، ص 82.

[54] . سفر التكوين، الإصحاح 48، فقرة 1-2، ص 82.

[55] . سفر التكوين، الإصحاح49، فقرة 29 – 33، ص 85.

[56] . سورة الشورى آية 11.

[57]. سفر التكوين، الإصحاح 1، فقرة 26، ص 4.

[58]. سفر التكوين، الإصحاح 1، فقرة 26، ص 4.

[59]. سفر التكوين، الإصحاح 5 فقرة 1– 2، ص 9.

[60]. فقرة 5– 6، ص 14.

[61]. سفر التكوين، الإصحاح3، فقرة 22– 24، ص 7.

[62]. رواه البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر) كتاب الاستئذان باب بدء السلام، ج 11 ص 3.

[63]. فتح الباري ج11 ص 3.

[64]. سورة فاطر، آية 15.

[65]. سورة الأعراف، آية 188.

[66]. سورة التوبة، آية 30.

[67]. سورة الزخرف، آية 15– 19.

[68]. سورة الإخلاص، آية 1– 4.

[69]. سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها.

[70]. رواه مسلم، كتاب الصيد والذبح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

[71]. سورة يونس، آية 60.

[72]. سورة سبأ، آية 3.

[73]. سورة الأحزاب، آية 72.

[74]. سورة فاطر، آية 11.

[75]. سورة السجدة، آية 7– 9.

[76]. سورة الحِجْر، آية 26.

[77]. فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ج6 ص 361.

[78]. سورة ص، آية 75– 76.

[79]. سورة البقرة، آية 34.

[80]. سورة فاطر، آية 11.

[81]. لسان العرب ج 1 ص 196.

82. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج1 ص 127.
83. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ل إسماعيل بن حماد الجوهري ج 6 ص 2223.
84. انظر الصحاح ج6 ص 2224.
85. لسان العرب ج1 ص 198.
86. لسان العرب ج1 ص 197.
87. انظر لسان العرب ج1 ص 197.
88. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ج4 ص 282.
89. لسان العرب ج1 ص 198.
90. انظر مثلا لسان العرب ج1 ص197 مادة أله.
91. معجم مقاييس اللغة ج6ص115.
92. أحمد بن محمد الفيومي ج2 ص826.
93. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج4ص 1438-1439.
94. لسان العرب ج9 ص 319.
95. مجد الدين الفيروز آبادي ج3ص211.
96. انظر تفصيل ذلك في الفائق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ج4 ص64.
97. انظر لسان العرب ج9ص320.والقاموس المحيط ج3 ص211. والصحاح ج4 ص1428.ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص724.
98. سورة الأعراف آية 180.
99. سفر التكوين، الإصحاح 3، فقرة 4-6 ص 6.
100. سفر التكوين، الإصحاح 3 فقرة1-4، ص 6.
101. انظر سفر التكوين، الإصحاح ،3 فقرة 23 - 24، ص 7 وقد سبق ذكره.
102. سفر التكوين، الإصحاح 11، فقرة 5-8،ص 17.
103. سفر التكوين، الإصحاح 8، فقرة 21، ص 14.
104. سفر التكوين، الإصحاح الأول، فقرة 2، ص 3.
105. سفر التكوين، الإصحاح 6، فقرة 3، ص 10.
106. سفر التكوين، الإصحاح 41، فقرة 38، ص 69.
107. سفر التكوين، الإصحاح 18، فقرة 1-5، ص 25.

[108]. سفر التكوين، الإصحاح 18، فقرة 3- 8، ص 25.

[109]. سفر التكوين، الإصحاح 28، فقرة 12- 13، ص 45 .

[110]. سفر التكوين، الإصحاح 3، فقرة 8- 10، ص 6 .

[111]. سفر التكوين، الإصحاح 5، فقرة 22، ص 10، وانظر مشيه مع الرجال الثلاثة في قصة إبراهيم السابقة، سفر التكوين بداية الإصحاح الثامن عشر ص 25- 26.

[112]. سفر التكوين، الإصحاح 6، فقرة 5-8، ص 10.

[113]. سفر التكوين، الإصحاح 8، فقرة 20- 21، ص 14.

[114]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 6، فقرة 23، ص 10.

[115]. سفر التكوين، الإصحاح 29، فقرة 31- 33، ص 47 .

[116]. سفر التكوين، الإصحاح 4، فقرة 8-10، ص 8، وانظر أيضا محادثة الله لأبيمالك – هكذا كتبت الكلمة في سفر التكوين دون فصلٍ بين أبي ومالك – تجاه سارة في سفر التكوين، الإصحاح 20، فقرة 1-7، ص 29- 30.

[117]. سفر التكوين، الإصحاح 18، فقرة 6- 15، ص 26.

[118]. سفر التكوين، الإصحاح 9، فقرة 13-16، ص 15، وانظر نسيان الله لإبراهيم ثم تذكره، سفر التكوين، الإصحاح 19، فقرة 29، ص 29 .

[119]. سفر التكوين، الإصحاح 29، فقرة 16-17، ص 45.

[120]. سفر التكوين، الإصحاح 20، فقرة 2- 7، ص 30 .

[121]. سفر التكوين، الإصحاح 31، فقرة 24، ص 51 .

[122]. سفر التكوين، الإصحاح 26، فقرة 2، ص 40 .

[123]. سفر التكوين، الإصحاح 26، فقرة 23، ص 41.

[124]. سفر التكوين، الإصحاح 35، فقرة 1، ص 57.

[125]. سفر التكوين، الإصحاح 35، فقرة 9-10، ص 58.

[126]. سفر التكوين، الإصحاح 48، فقرة 3-4، ص 82.

[127]. سفر التكوين، الإصحاح 42، فقرة 23- 32، ص 54 .

[128]. سفر التكوين، الإصحاح 2، فقرة 2-3، ص 5.

[129]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 8، فقرة 20- 22، ص 14. والإصحاح الأول فقرة 4، ص 3. والإصحاح 1 فقرة 31 ص4. والإصحاح 11، فقرة 5، ص 17. والإصحاح 18، فقرة 20، ص 26.

[130]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 8، فقرة 21، ص 14.

[131]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 31، فقرة 42، ص 52.

[132]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 38، فقرة 6، ص 63.

[133]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 21، فقرة 9، ص 31.

[134]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 44، فقرة 44، ص 37.

[135]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 12، فقرة 17، ص 19.

[136]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 3، فقرة 9، ص 6.

[137]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 18، فقرة 9 و14، ص 26.

[138]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 3، فقرة 8، ص 6. والإصحاح 33، فقرة 10، ص 55.

[139]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 20، فقرة 18، ص 30. والإصحاح 30، فقرة 22، ص 48.

[140]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 25، فقرة 21-23، ص 39.

[141]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 5، فقرة 14- 16، ص 11.

[142]. انظر سفر التكوين، الإصحاح 3، فقرة 21، ص 7.

[143]. سورة الأعراف، آية 19- 22.

[144]. سورة طه، آية 115- 121.

[145]. سورة البقرة، آية 31.

[146]. سورة الأنبياء، آية 104.

[147]. سورة النمل، آية 88.

[148]. انظر العقيدة في الله، للدكتور عمر سليمان الأشقر، ص 197.

[149]. سورة الشورى، آية 11.

[150]. سورة النمل، آية 73- 74.

[151]. انظر للتفصيل: شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان، ص 17.

[152]. انظر للتفصيل: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ج2 ص 272– 288. وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس، ص 25 والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للدكتور إبراهيم البريكان، ص 58.

[153]. سورة الفرقان، آية 58.

[154]. سورة طه، آية 49– 52.

[155]. سورة فاطر، آية 44.

[156]. سورة المائدة، آية 64.

[157]. سورة آل عمران، آية 188.

[158]. سورة الأنفال، آية 30.

[159]. سورة النساء، آية 142.

[160]. سورة البقرة، آية 15– 16. وانظر لتفصيل هذا الوجه من الصفات الإلهية، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد صالح العثيمين، ص 55– 56.

[161]. سورة مريم، آية 65.

[162]. سورة الإسراء، آية 36.

[163]. انظر للتفصيل: القواعد المثلى ص 66.

[164]. سورة طه، آية 110.

[165]. سورة الشورى آية 11.

[166]. سورة الشورى آية 11.

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم.

كتب السنة.

2. جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، طبعة دار السلام الخاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، عام 1421 هـ، دون ذكر مكان الطباعة واسم المطبعة.

3. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القُشَيْري، طبعة دار السلام الخاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، عام 1421 هـ، دون ذكر مكان الطباعة واسم المطبعة.

4. صحيح البخاري لإمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف الشيخ محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة 1380 هـ.

المراجع العامة:

5 أصول الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مطبوعات مجلة البيان رقم 118 مركز البحوث والدراسات 1431هـ، دون تحديد اسم المطبعة ومكان الطباعة.

6. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثانية ، عام 1400 هـ، دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة.

7. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للدكتور سعود الخلف، الطبعة الأولى 1422هـ، نشر مكتبة أضواء السلف الرياض.

8. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى 1422هـ ، توزيع مكتبة الرشد الرياض.

9. سفر التكوين ضمن مجموعة الكتاب المقدس، توزيع دار الكتاب المقدس، دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة وسنة الطباعة.

10. شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان، نشر وتوزيع مكتبة المعارف، الطبعة السادسة عام 1413 هـ، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة.

11. شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس، مراجعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثالثة، دون ذكر اسم المطبعة وسنة الطباعة ومكان الطباعة.

12. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين بيروت 1399هـ.

13. العقيدة في الله للدكتور عمر سليمان الأشقر، توزيع مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الخامسة، 1984 م، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة.

14. الفائق في غريب الحديث لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الثانية، دون تحديد اسم المطبعة.
15. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، دون ذكر سنة الطباعة، وأي طبعة هي.
16. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، طباعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1371 هـ 1953 م نشر دار الجيل بيروت.
17. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد الصالح العثيمين، توزيع مكتبة أضواء السلف وأصداء المجتمع، طبعة عام 1416 هـ، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة.
18. الكتاب المقدس، توزيع دار الكتاب المقدس، دون ذكر مكان الطباعة وسنة الطباعة وتحديد الطبعة.
19. لسان العرب لابن منظور، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث القاهرة، سنة الطباعة 1423هـ 2003م دون ذكر اسم المطبعة وأي طبعة هي.
20. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان، توزيع ونشر دار ابن قيم ودار ابن عفان، الطبعة الأولى، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة.
21. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1967م، دون تحديد اسم المطبعة.
22. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي، طبع دار الكتب العلمية 1398هـ =1978م بيروت لبنان، توزيع دار الباز مكة المكرمة.
23. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار الكتب العلمية إسماعيليان نجفي، إيران، قم خيابان إرم دون ذكر اسم المطبعة وسنة الطباعة وأي طبعة هي.
24. المعجم الوسيط لمجموعة، إشراف عبد السلام هارون، توزيع المكتبة العلمية بطهران، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة وتحديد الطبعة.